www.kotobarabia.com

مسرحية

لن يقتلوا الربيع



أحمد ابراهيم الفقيه

www.kotobarabia.com

مسرحية

لن يقتلوا الربيع

أحمد إبراهيم الفقيه

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

لن يقتلوا الربيع

(رجلان وامرأة وسط الحقول)

الرجل الأول ـ إنه نيسان شهر العطر والشذا وبوح العشق وغناء الورود. أكملت الأرض الجزء الأول من دورتها حول محور الشمس، فانتهى الشتاء وعادت أنثى الريح التى أعياها الصراخ صامتة إلى كهفها، وأقفل رب الرعد والبرق والعواصف صندوق ألعابه فوق جبال الأولمب، وأطلت أفروديت تنشر فوق الكون جدائل شعرها الذهبي، فغمر الدنيا ضياء فصل جديد، زاخرا بالوعد ونداء الحياة، مضمخا بعطر الأرض وعبيرها، مخضبة لياليه بحناء القمر، وزعفران النجوم..

إنه الربيع يأتى حاملاً قوارير عطر، يرش بها الأفق ساكباً فى إذن الكون أنغام فجر جديد. وما إن سمعت الشجرة موسيقى الفجر حتى سرى فى أغصانها نسغ جديد، وتفتقت فوقها زهرة لها تويج من نار، رأى الطائر كل هذا فأسكره الشذا ومضى يبوح للزهرة بقصة العشق الذى داهمه فى تلك اللحظات. كانت زهرة خجولة حيية لم تعش قصة حب قبل

هذا اليوم. ما إن سمعت غناء العصفور وبوحه حتى منحته نفسها منذ اللحظات الأولى وسمحت له بأن يرتشف الندى من فوق شفتيها..

ثم بعد لحظات قصيرة من العشق، رأت العصفور ينشر جناحيه فى الفضاء ويطير إلى زهرة أخرى يغنى لها ويبثها لواعج قلبه، عندها بكت الزهرة وأدركت أن الحزن هو قدر الزهور الساذجة التى تؤمن بالحب من أول نظرة !

الرجل الثانى ـ إنه نيسان، شهر الطيور، الطيور العاشقة التى لا تؤمن بالوفاء لزهرة واحدة، وإنما تمنح قلوبها لكل الزهور، ما إن تعود إلى أوطانها بعد أن أعياها الرحيل عبر المسافات، حتى تنفض عن أجنحتها غبار السفر والغربة، وذكريات البرد والمطر والثلوج، وتملأ مناقيرها بالشوق لموسم الخصب والنماء، تبنى فوق الأغصان وأعالى الجبال أعشاش الحب، وتسيل حناجرها بالإنشاد احتفالاً بالحياة فى دورتها المتجددة الخضراء، وتهيم عشقا بالأزهار والينابيع والسواقى وقطرات الندى.. فتغمر الكون بهجة الغناء.

الرجل الأول ـ إنه شهر الفراشات التى أيقظها الغناء، تأتى وهى تحمل فوق أجنحتها أقواس قزح لا تحصى، لتقيم بين الأشجار والأعشاب مهرجان الألوان، وتبدأ من فورها حلقات الرقص حول النار، وما إن يراها طفل الحب الإلهي، حتى يأتى راكبا جياد السحب البيضاء، مالئا جعابه بالسهام، يدخل معها حلقات الرقص، ويباشر عبثه الطفولي مطلقا سهام الحب يرشق بها قلوب الرجال والنساء وكائنات الغابة أصاب سهم من سهامه غزالة تركض عبر الحقول، فتوقفت عن الركض وهى تتأوه وترنو إلى قمر جميل أضاء السماء. أدركت أن سهام طفل الحب الإلهى قد أصابت قلبها، وأنها صارت عاشقة لذلك القمر البعيد الذى لا سبيل إلى الوصول إليه. ولكن طفل الحب العابث واصل رقصه مع الفراشات غير عابئ بعذابات غزالة أوقعها فى حب لا أمل فيه.

الرجل الثانى ـ إنه شهر ذوبان الجليد فوق قمم الجبال، ما إن تسيل الجداول وتبدأ السواقى غناءها الجميل حتى تنتفض الأرض وتعلن عن بداية موسم الاحتفالات. تتفتح البراعم فوق أشجار اللوز والبرتقال، وتتأوه الأغصان

وأوراق العشب وتتحول إلى أذرع خضراء تعانق اشعة الشمس، وتشعر دفعات الهواء بشذا الزهور، وينبض الأفق بجلال الألوان ونشيد الربيع.. ويبدأ العرس.

الرجل الأول ـ ما أعظم بهاءك أيها الشهر الذى نصبه الشعراء أميراً على كل شهور العام، ومنحته ربات الحسن الثلاث بركاتها وخرجت ترتدى أجمل فساتينها، توقد قناديل النجوم نجمة، نجمة، وتطوف بأكواب ملأتها برحيق الحب فتسقى القلوب، قلباً قلباً، ثم تجلس للعزف على أوتار القيثارة، فيضج الكون بالألحان وتغمر أركانه بهجة المحبة والسلام !

(تدخل المرأة)

المرأة ـ لا.. ليس هذا صحيحاً، فلماذا لا تقولون الحقيقة إنه ليس شهر الحب والسلام والألحان التى تغمر الأرض والسماء، إنه شهر الرعب القادم من الظلام. شهر طيور الموت السوداء.. وقنابل النار والدخان، إنه شهر آلام المسيح الذى يعاد صلبه من جديد كلما جاء نيسان.. إنه الشهر الذى ينسلخ فيه بعض البشر عن بشريتهم ويظهر فيه

الإنسان الخفاش الذى يأتى يحمل فوق أجنحته الموت والدمار...

كان ذلك فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة من ليالى الربيع.. كانت مدينتى تنام هانئة فى أحضان قمر فضى علقه آلهة الضوء فى قبة السماء..

وكان ليل المدينة يعبق برائحة القرنفل وشذا أزهار الفل والياسمين وبساتين اللوز والمشمش والبرتقال..

هجع الأطفال إلى مراقدهم بعد أن هدهدتهم أمهاتهم بأغنية حب الرمان وحكت خرافة البحار السبعة وابن السلطان. هانئة كانت مدينتنا تنام.

الصغيرة رشا. وضعت عروستها فى حضنها ونامت، وألفت أبت أن تترك عرجون الفل ينام بعيدا عنها، وضعته بجوارها ونامت.

آمنة، هانئة كانت مدينتنا تنام، فقد ظن أهلها أنهم حقاً يعيشون فى عالم تحكمه شرائع الإنسان، وفى عصر حقق حضارة الأمن والسلام للبشر جميعاً، وفى عام أسموه فى المنظمات الدولية العام العالمى للسلام !

هانـئـة كانت مدينتنا تنام.

وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، تماماً فى تلك الساعة، والقمر كرة من البراءة البيضاء تنير الدنيا، فى تلك الساعة، الثانية بعد منتصف الليل، انفجر فوق مدينتنا الجحيم الأمريكي..

فزعت الطيور التى كانت تنام فى مراقدها، وفرت من أعشاشها تبحث عن هواء لم تلوثه أنفاس الخفافيش الأمريكية ثم سقطت ميتة فوق الأرض.

وتخضب لون القمر الفضى بدم رشا وألفت ونبيل وغيرهم من أطفال كانوا سادرين فى أحلام وردية عن الغد الأبهى، فجاء الرعب الأمريكى يقتلهم ويغتال أحلامهم، كما تخضب لون القمر بدم عراجين الفل وعرائس الألعاب.

من بيته المظلم، الأسود، فى أقصى بقاع الدنيا، أرسل ريجان العجوز الذى نصب من نفسه أميراً للموت والظلام والخراب، أرجل خفافيشه تعبر سبعة بحار، لتزرع الموت فوق مدينتنا، وجلس بأنيابه الزرقاء التى يقطر منها الدم أمام شاشات إذاعته المرئية يتفرج على خفافيشه وهى تغتال الربيع وتسفك دم الزهور وتقتل الأطفال والعصافير..

نعم كان ذلك فى ليلة الخامس عشرة من شهر الطير (إبريل) عام ١٩٨٦ فى منتصف الشهر الذى تسمونه شهر الحب والربيع وأعراس الأرض.. فلماذا تزيفون الحقيقة؟ لماذا لا تسمون الأشياء بأسمائها؟ فهو شهر الحقد والرعب وموت الربيع !

الرجلان معاً ـ لا.. إنهم لن يقتلوا الربيع.

الرجل الأول ـ نعم لن يقتلوا الربيع. برغم أمير الظلام وخفافيشه، برغم ريجان ذى الأنياب الزرقاء التى يقطر منها الدم وطيوره السوداء، برغم كل ذلك فإنهم لن يستطيعوا أن يقتلوا فى نفوسنا الربيع ! لن يقتلوه فى قلوبنا وفوق أرضنا !

الرجل الثانى ـ نعم يا أماه، سوف يظل نيسان شهر الحب والعشق وأعراس الأرض وغناء الطيور وشدو السواقى وعبير الزهور.

برغم رعبهم، فإن الغزالة العاشقة لن تتوقف عن حب القمر، والزهرة التى تعودت أن تقع فى الحب من أول نظرة لن تتوقف عن حقها فى ممارسة الحب.

برغم حقدهم، فإن الأرض سوف تستمر تدور حول محور الشمس، تأتى بربيع جديد كل عام، وسوف لن يمنعنا ظلامهم من أن نحتفل به كما تحتفل الطيور والفراشات والأزاهير والغزالات.

الرجل الأول ـ ما الذى استطاعوا تحقيقه يا أماه؟

هل حققوا هدفا واحدا مما أرادوه؟

هل قتلوا فى أهلك إرادة الحياة؟

هل سقطت الراية التى رفعناه عاليا تخفق بالعزة ومجد الكبرياء؟

هل هوت النجوم التى رصعنا بها السماء أو توقفت عن إرسال ضوئها الذى يغمر الكون بسناء الثورة؟

هل أطفئوا مشاعل الحرية التى أشعلناها فوق أرضنا؟

وكما أن النجوم لا تهجر سماءها.

والجذور لا تهجر أشجارها.

فنحن أيضاً يا أماه لن نهجر ربيع الحياة فى بلادنا سنظل نعيش معه، ونحتفل به، ونرقص ونغنى على موسيقى الفجر التى تعزفها أيامه الخضراء.